فعلى الرغم ممّا تمثّله اسرائيل من أداة غربية في الشرق الاوسط، فانها ترى في مشروعها لانشاء، واستمرارية، الدولة وضعاً أبعد من هذا الموقع الوظيفي، حيث تدرك حاجة العالم الى دول كتلية تشكل امّا تجمّعاً لمجموعة دول في منطقة جيو ـ سياسية معيّنة، أو دولة ـ أمة ذات كتلة اقتصادية ـ بشرية ضخمة (كما الصين مثلاً). والحال، ان اسرائيل حتى ولو استطاعت ان تجمع كل يهود العالم، المقدر عددهم بـ ١٣,٥ مليوناً، على أرض فلسطين ومحيطها، فانها لن تستطيع ان تبني دولة ـ أمة. اذن، فالخيار المتبقي هنا هو ايجاد «توليفة» شرق أوسطية خاصة، بعد ان فشلت كل المحاولات التخريبية للالتحاق بالسوق الاوروبية المشتركة، والتي ستتبلور العام ١٩٩٢ كأوروبا الموحدة اقتصادياً في استقطاب يغيّر ثنائية الاستقطاب الجيو ـ سياسي السابق، ليصبح استقطاباً متعدداً «خاصة بعد ادراك محاولات الصين واليابان للدخول على خط هذا الاستقطاب، بل وتدميره لصالح تعددية عالمية».

ان المشروع الاسرائيلي يتجلى على شكل «حلم استراتيجي» بانشاء دولة عظمى في منطقة الشرق الاوسط ممركزة في اسرائيل، او متفردة فيها اسرائيل. فأبا ايبن طرح في كتابه «صوت اسرائيل» مشروعاً يوتوبيّاً قوامه علاقة مع الدول العربية كنموذج الولايات المتحدة واميركا اللاتينية[٨]. أي انه يتمثل في علاقة بين دولة عظمى ودول محيطية عاجزة، بل ومتأخرة.

وذهب يوري افنيري، وهو من التيار المنادي بالسلام، الى ايجاد مبررات تنسجم مع «الهوى» الاسرائيلي في هذا الصوب، ويستخدمها خدمة لما يسميه الاندماج الاقتصادي عبر السلام. كتب: «لن يؤدي السلام الى تقليص قوتنا السياسية، وانما الى بناء دولة عالمية كبرى جديدة نكون فيها شريكاً هاماً، ودولة كبرى تجمع ما بين قوة العالم العربي الضخمة وقوة العالم اليهودي»[٩].

ويتصور البعض ان استثماراً جدياً لامكانات الشرق الاوسط من الثروات الطبيعية والاموال العربية والخبرات الاسرائيلية قد يكون مقدمة لثورة عالمية تحدث تحولات في العالم مشابهة لتلك التي احدثتها الثورة الصناعية في اوروبا، ولتلك التي احدثتها الولايات المتحدة بقيامها، والتي احدثتها اليابان بثورتها التقنية[١٠].

وتبدو الامور كمن يود ان يصنع تحوّلات درامية، كمقدمة للتحوّل العالمي المرتقب على شكل تكتلات جماعية كبرى.

وفي واقع الحال، ان المشروعات الاسرائيلية الاقتصادية تبدولنا تخريجاً وهمياً، الى حدّ ما، لأزمة المشروع الاسرائيلي برمّته. فهي تتبنّى احتمالية السلم الاقتصادي، وذلك لا من طريق واضح لسلام قائم على العدل، انما من طريق امتداد ذهني لواقع منطق القوة والاكراه السائدين في المنطق الاسرائيلي المؤسس على أساس الهرب، دوماً، الى أمام من طريق العنف.

ويأتينا منطق المركزية الاسرائيلية في المشاريع الموضوعة كافة ليعطينا برهاناً على ما سبق ذكره. ذلك ان اسرائيل تعتبر انها «ستكون» المركز الحيوي للسيناريوهات المحتملة لمشاريع السلام الاقتصادي، وذلك في تعارض مع «طبيعة الاشياء» وطبيعة المسارات التي انتجت كتلاً اقتصادية عالمية. فمن المعروف ان الكتل الاقتصادية ـ الجغرافية العالمية لم تتحقق الاّ عندما توفّرت الشروط التالية:

١ ـ التقارب الاقتصادي بين دول هذه الكتلة أو تلك.

٢ ـ التقارب السياسي في المنظومة الايديولوجية ـ السياسية ـ الاقتصادية ـ الاجتماعية.